

بلا روح

قصة قصيرة
سلمى إسلام



سلمى إسلام

بلو روح

قصة قصيرة

٢٠٢٣

كلمة المؤلفة:

الحمد لله رب العالمين، أحمد الله على كل نعمة انعم بها عليّ، كعائلتي التي تعاونني و تدفّعي إلى الأمام دائماً، و خالص الشكر لصديقاتي و متابعاتي الرقيات على دعمهم الدائم.

في ليلة ممطرة، جلس زوجان في شرفتهما بالمساء يحدقان بالسمااء
الملبّدة بالغيوم.

فجأة..

ارتعدت الزوجة فور رؤيتها لضوء البرق الذي شقّ السماء، وانكملت في
مقعدها بجوار زوجها بعدما سمعت صوت الرعد.

ضحك زوجها ضحكة قصيرة بعدما رأى انكماشها بالمقعد، فقطبت
حاجبيها في ضيق وقالت بحنق:

-أنت الذي أصرت على أن نجلس معًا بالشرفة في ذلك الجو العجيب.
ضحك زوجها مرة أخرى قائلاً:

-تخافين دائماً من أتفه الأشياء يا (تسنيم)! أنت حساسة للغاية.
فقالت بضيق:

-ياللك من زوج! بدلاً من محاولة تهدأتي جلست تضحك بسخرية!
ثمّ التفتت له قائلة:

-لماذا نجلس هنا؟ قلت أنك تريد محادثتي في أمر ما ولكنك لم تفصح لي
عن هذا الأمر.

فتذكر ما أراد قوله، فالتفت إليها قائلاً:

-تذكرت، أردت إخبارك بأنني لن أتناول معكم طعام الغداء غدًا.

فقال متعجبة:

-لم؟

فأجابها ببساطة:

-لم يعجبني الطعام الذي أعدته اليوم، طعام ابنة خالي أفضل من طعامك.

فشحب وجهها وكسى الحزن ملامحها، فبادر قائلاً:

-لا تكوني حساسة، الاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية..صحيح؟

فقطبت حاجبيها في ضيق وقد شعرت بأن مجهودها طوال اليوم لتعد له ولابنهما الطعام قد ذهب هباءً، ثمّ قالت:

-كان بإمكانك أن تخبرني بطريقة ألطف يا (حسن)، أنت تعلم كم أبذل من جهد لأعد لكم الطعام، فلم تقارني بابنة خالك؟

لم يرد أن يدخل في نقاش طويل فنهض تاركًا زوجته وهي تحارب عواصف الحزن والأسى التي تحوم حولها.

في اليوم التالي، كان (حسن) يعمل في مكتبه بالشركة بجد، حتى تسلل إلى مسامعه صوت هاتفه، وعندما رأى اسم المتصل إبتسم و أجاب قائلاً:

-السلام عليكم.

و لكن بدلاً من سماعه لصوت زوجته الناعم، سمع صوت رجل خشن
مبحوح يقول:

-لقد أغمى على زوجتك يا سيدي، و نطالبك بالمجيء فوراً فقد انهار ولدكما
بعدهما نقلناها إلى المشفى.

و كان خبيراً كالصاعقة..

و هبَّ (حسن) وقفاً و قد تصبب العرق من جبينه مع أن الجو قارص
البرودة..

و خرج بخطوات سريعة ولدها الأدرينالين مع شعوره بالخوف العارم على
زوجته و ولده الوحيد.

ساد الصمت بغرفة إحدى المستشفيات المرموقة، و لم يسمع كلاً من
(حسن) و (حسام) سوى صوت جهاز دقات القلب المزعج.

و قطع حبل الصمت (حسن) و هو يقول ياقتطاب:

-ما الذي حدث يا (حسام)؟

شحب وجه (حسام) أكثر مما كان عليه، و أجابه برعب:
صاعقة كهربائية.

إلتفت (حسن) إلى ولده متعجبًا فأسرع (حسام) يقول برعب و هو يتذكر
صرخة والدته الملتاعة:

-كانت تنظف أرضية المطبخ، و فجأة، سمعت صرخة ملتاعة انطلقت من
جوفها فهرعت إليها و وجدتھا ملقاه على الارض أمام سلك نحاسي و
استنتجت أنها أصيبت منه.

ارتجف جسد(حسن) بشدة..

صعقة كهربائية؟

لقد توفى والدہ بنفس الطريقة!

و ارتعد بقسوة فور تذكره للحادث..

و دعا الله الف مرة بالأ تلقى زوجته حتفها..

و حسم موقفه و قال بصرامة:

-سأخرج لأسأل الطبيب بعض الأسئلة، ابقى هنا حتى اعود.

و ما أن خطا بعض الخطوات حتى تناهى إلى مسمعها صوت سمعوه
ألف مرة بالأفلام..

صوت توقف ضربات القلب!!

انخطر (حسام) في بكاء عنيف بين ذراعيّ والده، و ظل والده (حسن) جامد الملامح، حتى أن (حسام) ظن لوهلة ان والده قد اصبح بلا مشاعر، و على النقيض.. كانت نفس (حسن) تمتلئ بالمشاعر، و كان اولها هو الحزن..

الحزن الشديد على فراق زوجته..

شعر بالألم و الحزن يعتصران قلبه..

و قطع حبل أحزانه صوت الكهربائي و هو يخرج من الغرفة قائلاً:
- يبدو أن أحدهم قد عبث بأسلاك جهاز قياس نبض القلب الملقاة على الارضية.

انتفض جسد (حسن) و قال بلهفة:

-أ. أيعني هذا أنها لم تمت ؟

ابتسم الكهربائي ابتسامة بسيطة و قال:

-لقد عاد الجهاز يعمل، و سمعت الطبيب يقول أنها بخير و أنّ دقائق قلبها منتظمة.

وجد (حسام) نفسه يعدو نحو الكهربائي و يحتضنه قائلاً بكل سعادة الدنيا:

-شكرًا جزيلاً عماه!

و ابتسم الكهربائي.

في اليوم التالي، دلف (حسن) المطبخ لأول مرة ليطبخ، كان كلما يدخل المطبخ_سابقًا_ يزعج زوجته (تسنيم) وهي تعد الغداء، و لكنه هذه المرة ضحية المطبخ..

و في ذلك الحين، كان (حسام) يستذكر درس العلوم المعقد، و انتفض بحدة فور سماعه لصوت صرخات والده.

"ابي!!"

اقتحم (حسام) المطبخ صائحًا بكل توتره و رأى والده يمسك يده اليسرى بيده اليمنى قائلاً بحنق و ألم:

-كدت اقطع إصبعي بسبب تلك البطاطا الأشبه بالحجر!

اتجه (حسام) نحو خزانة صغيرة بالمطبخ و أخرج منها صندوق الإسعافات الأولية، و ضمد جرح والده و توقف النزيف، فسأله والده:

-كيف علمت بمكانه؟ لم أعلم أن لدينا صندوق إسعافات أولية بالمطبخ
اساسًا!

ابتسم (حسام) ابتسامة شاحبة و قال:

-كانت أُمي تجرح نفسها كثيرًا، و شاهدتها مرات عديدة و هي تسعف نفسها بنفسها من ذلك الصندوق.

بعث ذكر (تسنيم) الرجفة في جسد(حسن)، ولكنه قام قائلاً بإقتطاب:
-حسنًا، لا بطاطا مقلية..سناكل من المطعم المجاور لنا.

مضى أول شهر بدون (تسنيم) كدهرٍ كاملٍ بالنسبة لـ(حسن) و (حسام)..
و كان (حسن) أكثر الناس تأثرًا بغياب زوجته..
فقد تحمل مسؤوليات لم يتوقع قط بأن يفعلها حتى..
إعداد الغداء..

غسل الملابس و كيّها..

تنظيف المنزل..

جلي الصحون وغسل الأكواب..

العديد و العديد من المهام المنزلية التي أصبحت فوق عاتقه..

و كم كان من الصعب التوفيق بين أعمال المنزل و عمله..

صعب حقًا!

فتارة يتغيب عن عمله أو يتأخر عن حضور إجتماعاته بالشركة بسبب تأخره في النوم عندما كان يشرح مادة العلوم لولده..
وتارة يهمل تنظيف المنزل و يبدو مظهره كبقايا الحرب العالمية الثانية..
و في ليلة من الليالي المقمرة..
استرخى (حسن) على نفس الأريكة التي جلس بها مع زوجته في آخر ليلة معها بالشرفة..
و تذكر كلمات والده _رحمه الله_:

لا يمكن للرجل أن يحل محل الأنثى ، و العكس صحيح! فقد خلق الله عز وجل الرجل ببنية قوية تساعده على تحمل العمل ، وجعل عند الرجل المؤهلات التي تساعده في العمل ، فيرزقه الله على تعبته ، ولكن..من التي ربته؟ أليست أمه؟ من علمته سورة الفاتحة أليست أمه؟ إنَّ لكل منا دور مهم في هذه الحياة يا بنيّ ، فلا تتهاون ابداً مع زوجتك المستقبلية وكن ذلك الزوج الصالح الذي تتمناه كل فتاة.

ليته عمل بنصيحة والده..

ليته ادرك ذلك مبكراً..

ليته لم يسخر من زوجته..

ليته لم يتعامل معها ببرود..

كان ثقيل المزاح بطبعه..
صحيح أن المزاح يهون على المرء مشاكل الحياة..
ولكن لكل شيء حدود..
ولا يجب التماذي في السخرية في كل مكانٍ وزمانٍ..
وشعر أنه اصبح بلا مشاعر..
خاوي القلب..
وبلا روح..
وتذكر المقولة الشهيرة..
"البيت بلا امرأة، كالجسد بلا روح"
ولكن..
فيمَ يفيد الندم الآن؟ وزوجته بين الحياة والموت؟
وتذكر أنه لم يقم الليل منذ غيبوبتها..
فاتجه بخطوات هادئة إلى المرحاض ليتوضأ بماء الصنبور المثلج..
وذهب إلى غرفة النوم..
وبدأ صلواته..
ويا له من شعور!

تبدلت ملامحه الجامدة إلى ملامح تقيض خشوعًا..

وظل يدعو الله..

ويبكي..

ويدعو الله..

ثم يبكي..

ويستغفر..

فيبكي..

وفاضت دموعه التي لطالما حبسها أمام الجميع..

وسجد..

وأطال بالسجود و هو يدعو الله بخشوع..

وطال قيامه حتى أن رجله قد تشققت من كثرة وقوفه في ذلك الجو

البارد..

إلى أن غلبه النعاس..

ولم يشعر بجسده الذي هوى على سجادة صلاته..

ونام..

استيقظ (حسن) بنشاط على الرغم من أنه قد نام الساعة الثانية. وقرأ إعلاناً من جمعية خيرية تعلن فيه أنها ستقوم ببناء بئر في دول فقيرة و من يقدر على التبرع فجزاه الله خيراً.

وتبرع (حسن) عن زوجته (تسنيم) التي لطالما تمنّت ذلك _سابقاً_..
ومضت الأيام..

واعتاد (حسن) على دوره..

و قرر الذهاب للإطمئنان على زوجته الفاقدة للوعي مع ولدهما (حسام)..
و عندما دلفا الغرفة..

وجدوها قد أفاقت!

رباه!!

بعد فقدانهما للأمل..

وجداهما جالسة على سريرها..

وابتسمت لهما..

فاندفع الصغير إليها و تعلق بذراعها صائحاً و قد انهمرت الدموع من
عينيه:

-أمي! اشتقت لكِ ، اشتقت لكِ!
ربتت (تسنيم) على شعر ولدها بحنان و ظل (حسن) جامد الملامح
كعاداته..

و خرج الصغير و هو يقول بحماس:
-كنت قد اعددت لكِ هدية وضعتها بالسيارة على أمل أن تعودني ، هل
يمكنني أخذ مفاتيح سيارتك يا أبي ؟
أعطاه والده المفاتيح ليستطيع فتح باب السيارة..
و ظل جامدًا كتمثال من الحجر وهو يتطلع إلى زوجته..
فتوترت..

و غمغمت:

-أ. أهلاً؟

تقدم نحوها (حسن) بخطوات بطيئة ثقيلة..

فازداد توترها و قالت:

-لقد افقت تَوًّا، فيمَ ازعجتك ؟

و لكنه توقف عن سيره عندما اصبح ملاصقًا للسرير التي تمددت عليه و
نظر إلى عينيها..

شعرت برجفة تسري في أوصالها عندما تطلعت إلى عينيه الجامدتين..
ولكن..

وجدت ملامحه الصارمة تلين..

و اصبحت ملامحه كطفل وديع على الرغم من طوله المهيب..

و استبدل (حسن) الحديث بلغة العيون..

قالت عيناه لها الكثير..

وقالت عيناه له أكثر..

وابتسم..

وابتسمت..

وطرق (حسام) باب الغرفة بهدوء، فسمح له والده بالدخول.

وأهدى (حسام) والدته صندوقاً مليئاً بالرسائل الورقية البسيطة..

فسألته في اهتمام:

-ما هذا يا صغيري؟

ابتسم (حسام) ببراءة و أجابها:

-لقد تبرع والدي بمبلغ من المال لجمعية خيرية لإكمال بناء وحفر بئر

واسعة بدولة فقيرة، وأرسلت الجمعية صوراً بها رسائل من أهل البلدة

يعبرون بها عن سعادتهم بالماء، فقررنا طباعتها لنريها لك.
ابتسمت (تسليم) ونظرت إلى زوجها نظرة امتنان ثم التفتت الى (حسام)
وقالت:

-جميل جدًا، جزاكم الله خيرًا.

ابتسم (حسن) ابتسامة بسيطة وربت على كتفها قائلاً بدعابة:

-هنيئاً! أتمنى أن يكون ميزان حسناتك قد ثقل.

تطلعت إليه في حيرة فأكمل هو قائلاً:

-لقد تبرعت عنك، يعني هذا أنك ستشاركيني الثواب.

صمت (تسليم) وكأنها تحاول استيعاب الأمر..

ثم برقت عيناها ببريق اللهفة و السرور بعدما فهمت عبارته..

فصاحت بفرحة و احتضنت طفلها و ضمته بقوة و سعادة..

فاحتواهما (حسن)..

وهدأ قلبه..

وكذلك ملامحه..

وشقت الإبتسامة و جههم..

وشعرت (تسليم) بالدفء في ذلك الحضن الجميل..

واستكانت..

ثم نامت..

فتركها (حسام) بهدوء..

يليه (حسن)..

و خرج (حسام) بهدوء بعدما اغلق والده إضاءة الغرفة..

ووقف (حسن) يتأمل زوجته المستغرقة في النوم لبضع ثوانٍ..

فابتسم..

و شعر بالراحة..

و ما أن أغلق وراؤه باب الغرفة..

حتى احتضن ولده بقوة و سعادة..

غير مصدقًا انه قد رأى عينيّ (تسنيم) منذ لحظات..

(تمت بحمد الله)